

دلالات حروف الجر في سورة الملك

م. د. صهيب خليل سهيل

قسم الاعلام والصحافة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة بلاد الرافدين، ديالى، 32001، العراق.

Suhaibkhalil41@gmail.com

الملخص

إن اللغة ركيزة أساسية وأداة فاعلة في ترابط الأمم وتلاحمها، وتعد أهم أركان بقاءها استمرارها، وهي إحدى وسائل الاتصال بين افراد تلك المجتمعات، وان رقي وازدهار أي امة أو مجتمع برقي وتطور لغتها وتعد اللغة الميزة الأهم التي تميز الانسان عن باقي المخلوقات. بوصفها وسيلة تفاهم بالغة التطور بين المخلوقات. وتعد اللغة العربية هي اللغة الأرقى من بين سائر لغات العالم؛ إذ نالت اعجاب غير العرب، وكتب عن عظمتها كثير من المستشرقين. فهي أعظم لغات الكون من حيث الدلالة وسعة الالفاظ وقوتها ومن حيث قوه السبك والاتساق ووفره التراكيب. وقد زادها الله شرفا ورفعة عندما أنزل بها أعظم كتاب وهو كلام الله الذي انزل على خاتم الانبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) وهي لغة أهل دار الآخرة، وإن الوقوف عند أقسام هذه اللغة يتضح إنها تنقسم على ثلاثة أقسام رئيسة هي: - الإسم، الفعل، والحرف، وقد بلغ عدد حروف المعاني في العربية إلى نحو ثمانين حرفا، ولكل حرف معان واستعمالات خاصة تنفرد بها العربية، يسعى البحث إلى تسليط الضوء على نوع من هذه الحروف وهي؛ حروف الجر واستعمالها، متخذا من سورة الملك نموذجا تطبيقياً. وقد انتظم البحث في خمسة مباحث على النحو الآتي: المبحث الأول: خصص للحديث عن حروف الجر، وعددها، واقسامها، ومعانيها. اما المبحث الثاني: - جاء في بيان تناول حروف الجر حيث تتوافر في العربية خصيصة التعدد الدلالي للحرف. وتناول المبحث الثالث: - دلالة حروف الجر وتطبيقاتها في سورة الملك، وتناول ستة من حروف هي: (الباء وعلى ومن وفي والى واللام) وهي مجموع حروف الجر التي وردت في السورة. وجاءت الخاتمة بتلخيص أهم ما توصل إليها البحث من النتائج، ومن ثم قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث. الكلمات المفتاحية: دلالة، حروف الجر، سورة الملك.

Semantic Functions of Prepositions in Surat Al-Mulk

Lect. Dr. Suhaib Khalil Suhail

Department of Media and Journalism, College of Humanities, Bilad Al-Rafidain University, Diyala
32001, Iraq.

Suhaibkhalil41@gmail.com

Abstract

Language constitutes a fundamental pillar and an effective instrument for fostering the interconnectedness and cohesion of nations. It is regarded as one of the most essential foundations for their survival and continuity and serves as a principal means of communication among members of human societies. The advancement and prosperity of any nation or society are closely associated with the development and refinement of its language. Moreover, language is the most significant feature distinguishing human beings from other creatures, as it represents a highly sophisticated means of communication and mutual understanding. The Arabic language is regarded as one of the most distinguished languages in the world. It has attracted the admiration of non-Arab scholars, and numerous Orientalists have written extensively about its greatness. Arabic is particularly

distinguished by the richness and breadth of its lexical resources, the precision and power of its semantic expression, the strength of its syntactic construction and coherence, and the abundance and diversity of its linguistic structures. Its status and distinction were further elevated when Allah chose it as the language of the Qur'an, the greatest revealed Book, which contains the word of Allah revealed to the Seal of the Prophets and Messengers, Muhammad (peace and blessings be upon him). It is also described as the language of the people of the Hereafter. An examination of the grammatical categories of the Arabic language shows that it is fundamentally divided into three major categories: nouns, verbs, and particles. The number of particles of meaning (huruf al-ma'ani) in Arabic has been estimated at approximately eighty, with each particle having particular meanings and usages that distinguish the Arabic language. This study seeks to shed light on one particular category of these particles, namely prepositions, focusing on their meanings and uses and adopting Surat Al-Mulk as an applied model. The study is organized into five sections. The first section is devoted to prepositions, including their number, categories, and meanings. The second section examines the use of prepositions, emphasizing the semantic multiplicity that characterizes particles in the Arabic language. The third section addresses the semantic functions and applications of prepositions in Surat Al-Mulk. It examines six prepositions bi (بـ), 'alā (عَلَى), min (مِنْ) fī (فِي) ilā (إِلَى) and li- (لِ) which constitute the set of prepositions occurring in the surah. The conclusion summarizes the most significant findings reached by the study, followed by a list of the sources and references consulted.

Keywords: semantics, prepositions, Surat Al-Mulk.

المقدمة

إن اللغة العربية تتميز بثرائها التركيبي ودقتها الدلالية العالية التي تكشف عن أسرارها، لمن تبحر في علومها وامتلك ملكة التدبر في فنونها. ومن أبرز الأدوات اللغوية التي تشكل عصب الجملة العربية وتكرر في الخطاب اللساني بشكل واسع، هي "حروف الجر"، إذ لا تكاد بنية تركيبية أو عبارة لغوية تخلو من توظيفها. ولما كان علماء العربية القدامى قد فطنوا مبكراً لأهمية هذه الأدوات، فأفردوا لها مصنفات ودراسات مستقلة، ويأتي هذا البحث ليمتد في هذا الأثر المعرفي، مستهدفاً رصد "دلالات حروف الجر" في سياق معجز، وهو سياق "سورة الملك"، مستكشفاً الأبعاد الدلالية والوظائف التركيبية لهذه الحروف في النص القرآني، وجاء البحث بعنوان: (دلالات حروف الجر في سورة الملك). وقد اقتضت طبيعة الدراسة منهجياً تقسيمها إلى ثلاثة مباحث رئيسة، تسبقها مقدمة وتمهيد، وتنتلها خاتمة:

المبحث الأول: حُصص لتأصيل الجانب النظري لحروف الجر، من حيث ماهيتها، وعدتها، وتقسيماتها البنيوية، ومعانيها الوظيفية.

المبحث الثاني: يدرس ظاهرة "نيابة الحروف"، وهي من المظاهر الدلالية الكبرى التي تعكس مرونة اللغة العربية وعمقها وسعتها الدلالية.

المبحث الثالث: يمثل المرتكز التطبيقي للدراسة، حيث عُنِي باستقصاء دلالات حروف الجر الواردة في سورة الملك، وهي ستة أحرف: (الباء وعلى ومن وفي وإلى واللام). ثم خُتم البحث بتلخيص أبرز النتائج المستخلصة، متبوعة بثبوت للمصادر والمراجع العلمية المعتمدة. نسأل الله العليّ القدير أن يُمن علينا بالتوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

التمهيد: علم الدلالة (مفهومه، نشأته، والتطور اللغوي الدلالي)

يُعرف علم الدلالة (Semantics) في المحافل اللغوية الحديثة بأنه العلم المستقل الذي يتخذ من "المعنى" موضوعاً للدراسة والتحليل، أو هو ذلك الفرع اللساني الذي يعنى بتفكيك نظرية المعنى واستكشاف الشروط الرمزية والسياقية التي تمكّن اللفظ من

حمل شحنته الدلالية وإيصالها للمتلقي [1]. فالدلالة في جوهرها هي الرابط الذهني القائم بين اللفظ المنطوق والصورة العقلية المستدعاة في فكر السامع، وهذا التلازم الحتمي بين الكلمة ومعناها هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها التواصل والتفاهم الإنساني [2]. وعلى الرغم من الجذور التاريخية القديمة لملاحظات المعنى، إلا أن هذا العلم لم يتبلور كفرع معرفي مستقل، ومكتمل الأركان إلا مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. ويعد علم الدلالة من أعقد المسارات اللسانية وأكثرها وعورة عند الدارسين؛ نظراً لطبيعة "المعنى" وهي المراوغة والمتشعبة [3]. فالظاهرة الدلالية لا تنعزل عن الواقع الإنساني، بل تتقاطع تقاطعاً مباشراً مع ثقافة المجتمع، وخبرات الأفراد المتراكمة، ومنظومتهم القيمية والبيئية، مما يجعل الإحاطة الشاملة بالمعنى وتحديد دقة متناهية يتطلب عمقاً بحثياً ومجهوداً مستداماً يستغرق طاقات الباحثين [4]. وتشير القراءات التاريخية للمصطلح إلى أن اللغوي الفرنسي "ميشيل بريال" هو أول من وضع مصطلح (السيمانتيك) عام (1883م)، وهو الرائد الذي نقل دراسة المعنى إلى الطور العلمي المنهجي عام (1889م) عبر مصنفه الشهير (مقالة في السيمانتيك). وقد ركز بريال في طروحاته على تتبع التطور الدلالي لبعض الألفاظ في اللغات الهندوأوروبية القديمة (كاليونانية، واللاتينية، والسكسكريتية)، واضعاً بذلك حجر الأساس لثورة منهجية غيرت مسار الدراسات اللغوية اللاحقة [5]، [1].

وقد شهد البحث الدلالي قفزة نوعية على أيدي اللسانيين المحدثين الذين صاغوا نظريات متعددة أرسدت دعائم هذا العلم كمجال مستقل بذاته ضمن العلوم اللغوية. ويُعزى هذا الاستقلال إلى التركيز على معالجة ظاهرة "التطور الدلالي" وتفسير تحولات معاني المفردات، وهي ظاهرة حتمية تشترك فيها اللغات الإنسانية كافة، وتكشف عن الأطوار التاريخية لنمو اللغة وحركيتها [5]. وفي هذا السياق، يميل الدارسون إلى تشبيه اللغة بالكائن الحي من حيث النشأة والتطور والنمو [6]. فاللغة ظاهرة اجتماعية حيوية، تموج بالمتغيرات وتتأثر بالبيئة المحيطة بها، فلا يمكن محاصرتها في قالب سكوني جامد أو افتراض خلودها الدائم على هيئة واحدة؛ بل هي خاضعة لسنن التغيير والتطور في شتى مستوياتها: الصوت، والصرف والتركيب، والمعجم والدلالة. واللافت في هذه الصيرورة أن التطور اللغوي يجري وفق اتجاهات عامة ونماذج رئيسة لا تخضع للمصادفات أو الأهواء الفردية، إذ لا يملك الأفراد - مهما بلغت سلطتهم المعرفية - القدرة على كبح جماح هذا التطور أو إجبار اللغة على التجمد عند مرحلة تاريخية معينة [7]، [8].

ولا يقتصر هذا التطور البنوي على المستويين الصوتي والصرفي للألفاظ فحسب بل يتجاوزها إلى إعادة صياغة البنى الدلالية، وهو ما قاد اللسانيين إلى محاولة قنونة هذه التحولات تحت ما أطلقوا عليه "قوانين المعنى". ورغم أن هذه القوانين لا تزال في طور الاستقراء وتحتاج إلى مزيد من الشواهد العلمية المنهجية للحكم باطرادها، إلا أن الثابت استدلالاً هو أن التحول الدلالي يحدث بطريقة تراكمية تدريجية قد تصعب ملاحظتها آنياً، لكن أثرها يتجلى بمقارنة الاستعمالات القديمة بالحديثة [9]، [10].

ومن يتأمل جهود المحدثين يجد أنهم قد رصدوا مسارات عديدة لهذا التطور، أبرزها انتقال الألفاظ من دلالاتها المادية الحسية إلى فضاءات معنوية مجردة. وتمثل اللغة العربية ميداناً خصباً لتجلي هذا التحول؛ إذ أحدثت البيئة الإسلامية نقلة دلالية كبرى في معجمها اللفظي، فتحوّلت ألفاظ من دلالاتها اللغوية الأصلية إلى دلالات اصطلاحية شرعية جديدة، ومثل ذلك ألفاظ: (الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والكفر، والحلم، والمؤمن، والمنافق) [9]، [11]. ولم يقتصر التطور على المفردات التعبدية، بل شمل كلمات فكرية وحياتية أخرى مثل: (الشرف، والعقل، والمجد، والبحث، والاقتباس، والإدراك، والوعي، والروح، والفضل)؛ إذ كانت هذه الألفاظ ترتبط في أصلها الاشتقاقي بمدلولات مادية ملموسة قبل أن تكتسب أبعاداً ذهنية ومجردة تلبيةً للمتطلبات الحضارية المتجددة [12].

ومن الإنصاف الأكاديمي الإشارة إلى أن علماء العربية القدماء لم يكونوا بمعزل عن رصد هذه الظاهرة، بل تضمنت مصنفاتهم التفاتات ذكية لتغير الدلالة؛ ومن ذلك ما أورده الجوهري في معجمه بشأن لفظ (الحمم) الذي كان مقصوراً في أصله على الماء الحار، ثم اتسع الاستعمال مجازاً ليطلق لفظ (الاستحمام) على كل اغتسال بأي ماء كان [10]. وعلى الرغم من هذه الالتفاتات، إلا أن الرؤية المنهجية للقادمي ظلت محكومة بحدود زمانية ومكانية ضيقة مرتبطة بـ (عصر الاحتجاج)، مما أدى إلى غياب التدوين التاريخي المنظم والمستمر لتحولات الألفاظ عبر العصور المتلاحقة [1].

وفي هذا الإطار التحليلي، انتقد الدكتور إبراهيم السامرائي هذه النظرة السكونية عند الأقدمين، مبيناً أن كتب اللغة التراثية غالباً ما تغفل تتبع اللفظة المفردة وسياقات استعمالها عبر التاريخ؛ نظراً لنزوع مؤلفيها نحو محاكاة الفترة الأولى التي مثلت ميزان الفصاحة والبلاغة دون الانفتاح على حركية المعنى وسياقاته المتجددة. ومن هنا يتجلى التباين المنهجي بين الرؤيتين؛ فاللغوي الحديث ينطلق من عقيدة لسانية تؤمن بالمنهج التاريخي، ويرى في التطور اللغوي ضرورة حتمية تستدعيها عوامل التبدل الاجتماعي والحضاري [11]. وبناءً على ذلك، فإن جهود المحدثين في تشريح عوامل التطور الدلالي ومظاهره تمثل إنجازاً معرفياً فتح آفاقاً جديدة لفهم مرونة اللغات وحيويتها.

المبحث الأول

حروف الجر (ماهيتها، عدتها، وأقسامها)

أولاً: مفهوم التعلق وبنية التسمية

ينطلق الفكر النحوي في تفسير حركية الجملة العربية من مبدأ "التعلق"، حيث يرى ابن هشام أن حرف الجر لا يستقيم دلاليًا في البنية التركيبية إلا بوجود متعلق يرتبط به، والتعلق هنا ليس رابط شكليًا فقط، بل هو تلاحم معنوي وظيفي، أساسه أن بعض الأفعال تقصر طاقاتها التركيبية عن الوصول المباشر إلى الأسماء، فتستعين بحروف الجر لتجسير هذا التباعد وتحقيق الأثر الدلالي المبتغى [13]. وفي إطار القراءة المعاصرة للظاهرة، يتجلى سبب تسمية هذه الأدوات بـ "حروف الجر" في قدرتها الوظيفية على سحب (جر) معنى الفعل المتقدم وبسطه على الاسم المتأخر. وقد أطلق عليها النحاة تسميات متنوعة تعكس وظيفتها؛ فسميت (حروف الخفض) نظراً للأثر الإعرابي الكسري الذي تتركه في أواخر الأسماء، كما عُرفت بـ (حروف الإضافة) لأنها تُضيف معاني الأفعال القاصرة وتعديها نحو المفاعيل التي عجزت عن بلوغها مباشرة، كما في قولنا: عجبْتُ من خالدٍ، ومررتُ بسعيدٍ [14].

ثانياً: عدّة الحروف وتصنيفاتها المنهجية

تتعدد أدوات الجر في المعجم النحوي لتصل في مجموعها إلى عشرين حرفاً، وهي: (من، إلى، عن، على، في، اللام، الباء، ربّ، مُذ، منذ، الكاف، حتى، خلا، حاشا، عدا، واو القسم، تاء القسم، لعل، كي، متى) [14-16]. وقد تباينت الرؤى التراثية في تصنيف هذه الحروف وتوزيعها منهجياً:

تصنيف ابن هشام: قسّم الحروف بحسب طبيعة مجرورها إلى قسمين رئيسيين [15].

1. حروف مشتركة: تدخل على الاسم الظاهر والضمير المستتر (المضمر) على حدٍ سواء، وهي ثمانية: (من، إلى، عن، على، في، اللام، الباء، وحروف القسم).
 2. حروف مختصة: لا تجر إلا الأسماء الظاهرة، وهي: (ربّ، مُذ، منذ، الكاف، حتى، واو القسم، والتاء).
- تصنيف الزمخشري: اتخذ منحىً تنظيمياً مغايراً عبر حصر المجرورات في مسارين، حيث يرى أن الجر إما أن يكون ناتجاً عن بنية الإضافة اللفظية والمعنوية، أو مدفوعاً بحرف الجر مباشرة، ومثل ذلك بتركيب يجمع الفكرتين: (غلامٌ زيدٌ سيرٌ من البصرة إلى الكوفة) [17].

الأبعاد الدلالية لحروف الجر في سورة الملك

تجنباً للتوسع النظري المستفيض، وتماشياً مع طبيعة البحث التطبيقية، سيقصر الاستعراض الدلالي هنا على الحروف الستة التي تشكل القوام الدلالي والتركيبية لسورة الملك، وتتجلى معانيها السياقية على النحو الآتي:

1. حرف الباء

تعد الباء من أوسع الحروف تفريعاً دلاليًا، وقد رصد النحاة لها معانٍ وظيفية متعددة أبرزها [14]، [15]، [18]:
الإلصاق: وهو المعنى الجوهرى والملازم لها في شتى سياقاتها، وعليها اقتصر سيبويه في تحليله، نحو: مررت بزيد.
التعديّة (باء النقل): وتعمل كمكافئ تركيبى لهزمة الإفعال، حيث تحوّل الفاعل في الفعل القاصر إلى مفعول به، نحو: ذهبْتُ بزيد.
الاستعانة: وهي الحرف الذي يتوسط بين الفعل وآلته التنفيذية، نحو: كتبتُ بالقلم.
التوكيد: وهي الباء الزائدة تركيبياً لتقوية النص وتأكيدهِ دون إحداث تغيير في المعنى الأصلي، كقوله تعالى: {وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا} [19].

- الظرفية: بمعنى (في)، ومثاله قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ} [20].
المقابلة والتعويض: وتستخدم في سياقات المعاوضة والمبادلة، نحو: اشتريت الثوب بالّف.
الغاية: دلالة على بلوغ الهدف، كقوله تعالى: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ} [21].
القسم: لاستعطاف المقسم به وتأكيد الخبر، نحو: أقسم بالله لأفعلن.
السؤال والطلب: بمعنى (عن)، نحو: سألتك بزيد.
المعية والمصاحبة: بمعنى (مع)، نحو: جئت به أي مصاحباً له.
السببية والتعليل: لبيان العلة، كقوله تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ} [22].
التعجب: كبنيتها القياسية في صيغة أفعل به، نحو: أكرم بزيد.
الحال: الدالة على الهيئة، نحو: خرج زيد بثيابه (أي متلبساً بها).

2. حرف (على)

يتحرك هذا الحرف في سياقات دلالية تمنحه مرونة وظيفية عالية، ومن أبرز معانيه [13]، [14]. الاستعلاء: وهو الأصل فيها، ويكون حسيّاً أو معنوياً، كقوله تعالى: {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} [23]. المصاحبة: وتأتي بمعنى (مع)، كقوله تعالى: {وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ} [24]. المجاوزة: وتؤدي وظيفاً معنى (عن)، كقولهم: إذا رضي عليّ زيداً أي: إذا رضي عليّ. التعليل: لبيان المبرر والسبب، كقوله تعالى: {وَلِنُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} [25]. الظرفية: لتأدية معنى (في)، كقوله تعالى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا} [26]. الاستدراك: وتأتي لرفع اللبس المتوهم، كقولك: فلان لا يستحق المكافأة لسوء صنعه على أنّه لا ينبغي أن ييأس من العفو.

3. حرف اللام

تتميز اللام بقدرتها على نسج علاقات ارتباطية دقيقة بين الألفاظ، وتتعدد دلالاتها لتشمل [13]، [14]، [18]:
التخصيص: وتقيد قصر النسبة اللفظية على ما بعدها، نحو: الثوب لزيد.
الاستحقاق: حيث يكون ما قبلها مستحقاً لما بعدها، نحو: الباب للدار.
النسب: لتوضيح وشائج القرابة والانتماء، نحو: الابن لخالد.
الاستغاثة: وتأتي في سياق النداء لطلب العون، نحو: يا يزيد لعمرو.
التعجب: للدلالة على الدهشة الاستعظمية، نحو: يا للعجب.
التعليل: كقول امرئ القيس في معلقته [27]:
وَيَوْمَ عَفَرْتُ لِلْعَدَاوَى مَطِيئَتِي ... فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمِّلِ
وقد أضاف مصطفى الغلاييني أبعاداً دلالية أخرى أثمرت عنها قراءته التجديدية، ومنها [14].

- لام التبيين: وهي الموضحة التي يكون مجرورها مفعولاً في المعنى لما قبلها.
- لام الصيرورة والمآل: وتكشف عن أن ما بعدها يمثل عاقبة حتمية ونتيجة للمتقدم، دون أن يكون المتقدم قد فعل من أجله ابتداءً، كقوله تعالى: {فَأَلْقَيْتُهَا آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [28].
- لام الوقت والتأريخ: وتأتي لتحديد الأجل والمدد الزمنية، نحو: كتبته لسنة خلت.

4. حرف (في)

يُجمع النحاة على أن "الوعائية" هي الجوهر الدلالي الأبرز لهذا الحرف [29]، وتتحرك هذه الوعائية بين الحقيقة والمجاز، فالحقيقة مادية ملموسة نحو: جعلت المتاع في الوعاء، والمجازية ذهنية تجريدية كقوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ} [30]. ومن معانيها المتداولة في السياقات [14]، [18]:
الظرفية: بنوعها المكاني والزماني، وقد اجتمع البعدان في قوله تعالى: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} [31].

المصاحبة: بمعنى (مع)، كقوله تعالى: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ} [32].
التعليل: لبيان الدافع، كقوله تعالى: {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} [33].
الاستعلاء: لتؤدي معنى (على)، كآية الكريمة قوله تعالى: {وَأَصْلِبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ} [34].
المقايضة: وهي الأداة الوسطى التي تدخل بين سياقين لبيان تضاول الأول أمام الثاني، كقوله تعالى: {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَجْزَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [35].
التعويض: وهي الحرف الزائد اللفظي الذي يأتي به سداً لمسد حرف آخر محذوف، نحو: ضربت فيمن رغبت (والأصل: ضربت من رغبت فيه).
التوكيد المحض: وتأتي زائدة لتقوية الدلالة دون تعويض عن محذوف.

5. حرف (من)

يمثل هذا الحرف ركيزة أساسية في التحليل الدلالي، وتتوزع معانيه على النحو الآتي [13]، [14]، [16]:
ابتداء الغاية: وهو المعنى المهيمن عليها والذي تنبثق منه بقية الدلالات، وتأتي لابتداء الغاية المكانية كقوله تعالى: {مَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [36]، كما تأتي لابتداء الغاية الزمانية عند الكوفيين والأخفش والمبرد، مستدلين بالحديث الشريف: {مُطَرْنَا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ} [37].
التبويض: لبيان جزء من كل، كقوله تعالى: {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} [38].
التعليل: كقوله تعالى: {مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا} [39].
البدل: لتأدية معنى العوض، كقوله تعالى: {أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ} [35] أي بدلاً من الآخرة.
بيان الجنس: لتوضيح ماهية الشيء ونوعه، كقوله تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} [40].
التفضيل: وهي الحرف الواقع بين متضادين لإبراز رجحان أحدهما، كقوله تعالى: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [41].
توكيد المضمون (الزائدة استغراقاً): وتأتي لعموم الاستغراق في سياق النفي والنهي، نحو: ما جاءني من أحد.
نفي الجنس أو الوحدة: حيث ترفع الاحتمالية لتؤكد النص صراحة، فقولنا: ما جاءني من رجل يرفع احتمال مجيء أي فرد، بخلاف قصر نفي الوحدة الذي يصح معه قولك: بل رجلان.

6. حرف (إلى)

يُصنف هذا الحرف ضمن الأدوات التي تجر الاسم الظاهر والمضمر على حد سواء [42]، وتتجلى أبرز أبعاده الدلالية في المستويات الآتية [14].
انتهاء الغاية: وهي وظيفتها الأساسية مكانياً وزمانياً، ومثال الزمانية قوله تعالى: {ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [43]، والمكانية كقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [36].
المصاحبة: وتأتي بمعنى (مع)، كقولهم: فلان حلیم إلى أدبٍ وعلمٍ أي مع أدبٍ وعلمٍ.
التبيين (معنى عند): وتسمى المبينة لأنها تكشف عن أن مجرورها هو الفاعل الحقيقي في المعنى لما قبلها، كقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [44].

المبحث الثاني

ظاهرة تناوب حروف الجر وسعة تصرفها الدلالي

تشكل اللغة العربية نموذجاً لسنن التطور اللغوي والانتساع التعبيري؛ إذ حباها الله سبحانه بشرف احتضان النص القرآني المعجز، مما منح بنيتها الاصطلاحية ميزات ومستويات دلالية بالغة العمق. ومن أبرز المظاهر المنهجية التي تترجم هذا الثراء ما عُرف في الفكر النحوي بـ "تناوب حروف الجر" أو نيابة بعضها عن بعض؛ وهي ظاهرة تعكس عدم جمود الحرف عند وظيفته المعجمية الأولى، بل تمتد طاقته لتشمل أبعاداً مجازية وسياقية تتشكل وفقاً لمتطلبات الأسلوب ونظم الكلام [13]، [15]، [16]، [18].

أولاً: التناوب الدلالي بين الحروف (نماذج وتطبيقات)

تتجلى مرونة الحروف النيابية في تداخلها الوظيفي مع أدوات أخرى تمنح النص أبعاداً تفسيرية أوسع، ويُمكن رصد هذا التناوب عن طريق الحروف الآتية:

1. حرف (في):

يخرج هذا الحرف عن أصل وضعه (الظرفية) ليتطابق وظيفياً مع حروف أخرى بحسب مقتضى السياق، ومن ذلك:

مجيئه بمعنى (إلى): كما في قوله تعالى: {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} [45].

مجيئه بمعنى (على): للاستعلاء، كآلية العزيزة قوله سبحانه: {وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [34].

مجيئه مرادفاً لـ (الباء): ومنه شواهد الشعر العربي كقول زيد الخيل [46]:

< ... يَصِيرُونَ فِي طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكَلَى

مجيئه مرادفاً لـ (من): كقول امرئ القيس في معلقته [27]:

< ... وَهَلْ يُغْنِينِ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

مجيئه بمعنى (مع): للمصاحبة، كقوله عز وجل: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ} [35].

2. حرف (من):

يتسع الاستعمال السياقي لهذا الحرف ليتجاوز ابتداء الغاية إلى معاني حروف أخرى [13]، [14]، [16]:
 بمعنى (عن): كقوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [47].
 مرادفاً لـ (الباء): كقوله سبحانه: {يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} [48].
 مرادفاً لـ (في): كقوله عز وجل: {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ثُمَّ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِّنْهُ} [49].
 مرادفاً لـ (على): للاستعلاء المعنوي، كقوله سبحانه: {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ} [50].
 بمعنى (بدل): كقوله تعالى: {أَرْضِينِي بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَجْزَةِ} [35]، أي بدلاً منها.

3. اللام المفردة:

تُعد اللام من أكثر الأدوات مرونة وتداخلاً مع سائر الحروف المعنوية [18]:
 مرادفاً لـ (على): تفيد الاستعلاء الحقيقي، كقوله تعالى: {وَيَخْرُجُونَ لِلدُّفَانِ} [51].
 مرادفاً لـ (إلى): وهو قياس مطرد لتقارب المضمون واللفظ بينهما، كقوله تعالى: {يَأْنِ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا} [52].
 بمعنى (مع): وهو من السماع اللغوي الذي لم يطرد قياسه نظراً لتباعد البنية، ومثاله: سمعتُ له صراخاً.
 مرادفاً لـ (في): كقوله تعالى: {وَتَصْنَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [53].
 مرادفاً لـ (عن): كقوله سبحانه: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} [54].
 بمعنى (عند): للتأريخ والوقت، كقولهم: كتبته لخميس خلون.
 مرادفاً لـ (بعد): كقوله عز وجل: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ} [55].

4. حرف (على):

يتحرك هذا الحرف خارج دلالة الفوقية المادية ليتناوب مع حروف أخرى [14-16].
 مرادفاً لـ (من): كقوله سبحانه: {الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} [56].
 بمعنى (عن): كقول القحيف العقيلي [16].
 إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا
 مرادفاً لـ (في): كقوله تعالى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ} [27].
 مرادفاً لـ (اللام): للتعليل، كقوله سبحانه: {وَلْيُكْذِبُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ} [26]، أي لهدايته إياكم.

5. حرف (إلى):

وتظهر نيابته عن الحروف في المقامات الاتية [13]، [14].
 مرادفاً لـ (اللام): كقوله تعالى: {وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} [57]، ومنه قولهم الفصيح: أحمدُ إليك الله، أي أنهى حمدي لك.
 مرادفاً لـ (في): كقوله عز وجل: {لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [58].
 مرادفاً لـ (عند): كقول أبي كبير الهذلي [59]:
 < ... أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الرَّجَبِ السَّلْسَلِ
 < إضاءة بحثية: يصنف اللغويون المحدثون هذا الوجه لـ (إلى) تحت مسمى "اللام المبينة"؛ كونها تجلي فاعلية ما بعدها عندما تقع بعد التراكيب الحاملة لمعاني الحب أو البغض (كأفعال التعجب أو أسماء التفضيل)، ومثاله من التنزيل القرآني: {قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [14]، [44].

6. حرف الباء:

تتداخل الباء بنيوياً وسياقياً مع غيرها لتؤدي معانٍ نوعية [13]، [14]، [18]:
 المصاحبة (بمعنى مع): كقوله تعالى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ} [60].
 المجاوزة (بمعنى عن): ويرى فريق من النحاة أنها تختص بسياقات السؤال والطلب، كقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [61].
 الظرفية (بمعنى في): كقوله سبحانه: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ} [20].
 التبويض (بمعنى من): كقوله عز وجل: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} [62]، أي يشرب منها.
 الاستعلاء (بمعنى على): كقوله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ} [63].

7. حرف (عَنْ):

- يتصرف هذا الحرف دلاليًا ليحاكي وظائف أدوات أخرى [13]، [14]، [16].
مرادفًا لـ (بَعْدَ): كقوله سبحانه: {عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ} [64].
مرادفًا لـ (الباء): كقوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ} [65].
مرادفًا لـ (مِنْ): كقوله جل وعلا: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [66].
تأدية معنى (البدل): ويبرز في الأثر الفقهي والحديث الشريف كقوله صلى الله عليه وسلم: (صُومِي عَنْ أُمِّكَ) [67].
بمعنى (على): كقوله عز وجل: {وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ} [68].

ثانيًا: تنوع الأبعاد الوظيفية للام المفردة

نظراً لتشعب استخدامات اللام المفردة في الخطاب العربي، أفرد لها علماء النحو مساحة واسعة لاستقصاء صورها التركيبية الزائدة والأصلية المعززة للنظم ومنها:

1. شبه التمليك (لام النسبة): وتُمثل الحرف الرابط الذي يقع بين ذاتين لا يملك أحدهما الآخر حقيقةً بل يختص به دون التمليك، كقوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [69]، وكقولهم: اللجام للفرس.
 2. اللام المقحمة (الاعتراضية): وهي الأداة التي تقحم اعتراضاً بين المتلازمين لتقوية الاختصاص، ومثاله تعبيرهم: يا يؤس للحرب. وقد اختلف النحاة في توجيه جر ما بعدها، بيد أن الوجه الأرجح يُعیده للام لقربها المباشر ولأن الجار الزائد لا يحتاج إلى متعلق يربطه.
 3. لام التقوية: وهي اللام المزیدة جيء بها خصيصاً لتدعيم عامل ضعف أثره الإعرابي، إما لكونه متأخراً عن معموله كقوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} [70]، أو لكونه فرعاً في العمل (كالمشتقات والمصادر)، نحو: أَنَا ضَارِبٌ لِعَمْرٍو.
 4. لام المستغاث: حظيت هذه اللام بنقاش تحليلي عميق؛ إذ ذهب المبرد وتبعه ابن خروف إلى أنها زائدة بدليل صحة إسقاطها تركيبياً دون الإخلال بالمعنى الأساسي للاستغاث، بينما رفض الجمهور زيادتها واختلفوا في متعلقها؛ فيرى ابن جني تعلقها بحرف النداء المضمن معنى الفعل، في حين ذهب الأكثرون إلى تعلقها بفعل النداء المحذوف تقديرًا. ومن سماتها النطقية أنها تفتح مع المستغاث وتكسر مع المستغاث له، نحو: يا لخالِدٍ لِيَكْرَ.
 5. لام التبليغ: وهي اللام الوظيفية الجارة التي تدخل على اسم السامع لتربطه بأفعال القول والبيان وما جرى مجراها، نحو: قلت له، وفسرته له.
 6. لام الصيرورة والمآل: وتسمى (لام العاقبة)، وهي التي تكشف عن أن المجرور بعدها يمثل نتيجة حتمية ونهاية واقعية للحدث المتقدم، دون أن يكون الحدث قد فعل لأجله قصداً في المبدأ، كقوله تعالى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [28].
 7. لام التبيين: وتنقسم منهجياً إلى ثلاثة مسارات تؤدي غرض إزالة اللبس الإسنادي [13]، [14].
- ما يبيّن المفعول من الفاعل: وضابطها التركيبي وقوعها بين فعل التعجب أو اسم التفضيل اللذين يحملان شحنة وجدانية (حب أو بغض)، نحو: ما أحببني لعلّي.
- ما يبيّن الفاعلية المحضة: دون التباس بالمفعولية.
- ما يبيّن المفعولية المحضة: دون التباس بالفاعلية، ويكون مصحوبها إما مفسراً للمنتقم أو مستأنفاً لتوكيد البيان والمدح أو الذم، نحو: سقياً لزيد.

ثالثاً: أثر حروف الجر في تعدية الأفعال

- يتعدى الفعل في العربية إلى مفعولاته إما بنفسه أو بوساطة الأداة، وحروف الجر تمثل الأداة الرئيسة لتحويل الأفعال القاصرة (اللازمة) إلى أفعال متعدية، أو لتمكين الفعل المتعدي لمفعول واحد من الوصول إلى مفعول ثانٍ، ويتجلى هذا الأثر التركيبي في الأنماط الآتية:
- التعدية بـ (إلى): ويظهر في قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ} [71]، حيث تعدى الفعل (أرسل) إلى المفعول الأول بنفسه (نوحاً)، ووصل إلى الثاني عن طريق حرف الجر.
 - التعدية بـ (على): كقوله سبحانه: {وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} [72]، إذ مكن الحرف الفعل من بسط أثره على مفعولين.

- التعدية بـ (اللام): قد تتناوب اللام مع (إلى) في سياق التعدية لتقارب معنييهما، مع وجود فارق دقيق تلمحه شخصية الباحث، وهو أن (إلى) تستصحب معها دلالة انتهاء الغاية حقيقةً، في حين تتجرد اللام من هذا القيد المعجمي. وقد أشار ابن هشام [13]، [14]. إلى تعدية الفعل باللام نقلاً عن ابن مالك في كافيته، ومثاله النحوي ما أورده ابن عقيل: وهبْتُ لزيدٍ مالاً.
- التعدية بـ (الباء / باء النقل): تفيد الباء نقل الفعل اللازم وتصيره إلى المتعدي، وهي بهذا الصنيع تطابق وظيفة (همزة الافعال)، حيث يتحول الفاعل معها إلى مفعول به في المعنى، كقوله تعالى: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} [73] أي أذهبهُ وسلبهُ [13].
- التعدية بـ (في): ويتجلى استخدامها النحوي عندما يتعدى الفعل إلى مفعوله الأول بنفسه مباشر، ثم يتوسل بـ (في) الظرفية للوصول إلى مفعوله الثاني تحقيقاً للاحتواء المكاني أو المعنوي، ومثاله قوله جل وعلا: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ} [74]، [14].

المبحث الثالث

دراسة دلالة حروف الجر في سورة الملك دراسة تطبيقية

أولاً: حرف الباء

يعد الإلصاق بحرف الباء هو ما أثبت له من معنى آخر في المصنفات النحوية يرجع في جذوره الدلالية إلى هذا المعنى العام. يقول سيبويه: «وباء الجر إنما هي للإلصاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، دخلت به، وضربت به بالسوط، ألزقت ضربك إياه بالسوط، فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله» [14]. والإلصاق في الاستعمال القرآني ينقسم على مسارين: حقيقي ومجازي [75].

1. الإلصاق الحقيقي

ومثاله قوله تعالى في السورة الكريمة: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [76]، والمصابيح هي الكواكب المضيئة الساطعة، سُميت بذلك لإضاءتها بالليل كإضاءة السراج [77]. ويتجلى معنى الإلصاق هنا في كونه ملازماً للتزيين والتصاقه بأقرب السماوات إلى الأرض بواسطة هذه الكواكب، «ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سماوات فوقها، إذ التزيين حاصل بإظهارها فيها» [78].

2. الإلصاق المجازي المعنوي

ويبرز في مواضع عدة، منها: قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [79]، أي التصق تصرفه السببي وتعلق بملك السماوات والأرض تصرفاً مطلقاً كيف يشاء [77]. وعبر عنه ابن عباس بقوله: «بيده الملك، يُعزُّ من يشاء ويُذلُّ من يشاء، ويحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويعطي ويمنع» [80].

التعدية: كقوله تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ} [81]، وقوله سبحانه: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [82]؛ إذ خلصت الباء لإلصاق الفعل بالمجرور وتعديته، والإلصاق التركيبي هنا يستلزم المصاحبة المعنوية الحتمية.

3. الظرفية (بمعنى في)

تأتي الباء لتؤدي دلالة الظرفية كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ} [83]، إذ تقع كلمة (بالغيب) حال من الواو في (يخشون)، والباء هنا تفيد الظرفية المصحوبة بالإلصاق والاقتران المباشر، وهي تختلف عن ظرفية (في)، إذ تفيد (في) التضمن والاحتواء الكلي، بينما ظرفية الباء تفيد الملاحقة والمصاحبة [14]، [75]. فإذا قيل: «أقام بالبصرة» فالمعنى على الملاحقة والاقتران، وإذا قيل: «أقام في البصرة» فالمعنى على التضمن والاحتواء الدائم [84]، وعليه فإن الخشية في الآية الكريمة اقترنت بكونهم متصفين بها في حال غيبتهم عن أعين الناس واقترانهم بصد السريرة.

ثانياً: الحرف (على)

المعنى الأصل لل حرف (على) هو الاستعلاء، بنوعيه: الحقيقي والمجازي. يقول سيبويه في هذا الصدد: «أما (على) فاستعلاء الشيء، تقول: هو على ظهر الجبل، وهو على رأسه... ونقول: عليه مالٌ، وهذا كالمثل؛ يثبت الشيء على المكان، فكذا يثبت هذا عليه، فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل» [75]، [85]. وقد تكرر هذا الحرف في سورة الملك مؤدياً الدلالات التالية:

الاستعلاء المجازي (القدرة والهيمنة): كما في قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [79]، فهو سبحانه المستعلي على كل الأمور بلا منازع ولا مدافع، و«هو القادر على كل شيء، له القدرة التامة والتصرف الكامل في سائر الشؤون» [77].

الاستعلاء الحقيقي (المادي والمعنوي): قوله سبحانه وتعالى: {أَقَمْنِ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [86]، فالمؤمن السوي مستعلٍ على طريق الهداية استعلاءً حقيقياً ثابتاً، وهو في مأمن من البطء والعثار والتخبط الذي يواجهه الكافر المكب على وجهه [77].

تعدية فعل التوكل: يتعدى الفعل (توكل) بوساطة (على) لإفادة الاستعلاء المعنوي والاعتماد المطلق، كقوله تعالى: {قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} [87]، وجاء تقديم المجرور ليفيد القصر والخصوصية، أي: «خصيصاً لم نتكل على ما أنتم عليه متكلون من رجالكم وأموالكم» [88].

ثالثاً: الحرف (من)

تعددت الأوجه الدلالية للحرف (من) في سياق التنزيل للسورة، ومن أبرزها: التأكيد والزيادة اللفظية: كقول الله الكريم: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [89]، فالأداة هنا زائدة إعراباً، مؤكدة غاية الإحكام والإتقان في خلق الرحمن البديع من غير نقص ولا خلل ولا تناقض، فمهما كرر الناظر نظره بعين الاعتبار في هذه السماوات العجيبة لم يَرِ فيها شقوقاً أو فطوراً. السببية والتعليل: كقوله تعالى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ} [90]، فالأداة تبين سبب تميز جهنم واشتعالها وحرقها وغضبها على أعداء الله وعصاته [77].

التبعية: وتأتي على صورتين في السورة الكريمة:

1. قول الله العزيز: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} [91]، أي انتفعوا والتمسوا بعض أنواع الكسب والرزق المباح [78].
2. قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [92]، أي كذبت طوائف من كفر الأمم السابقة رسلهم، وليس كل من كان قبلهم ابتداء الغاية: كقوله تعالى: {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ} [93]، والظرف هنا صفة لـ (جند)، أي: أم لكم جند يبدأ نصرهم من مكان مغاير لدون الرحمن. وقيل: تأتي للمقابلة، أي: أتأخذون هذا عوضاً وبدلاً من هذا ناصراً لكم؟! [84]
- المجاوزة والنجاة: كقوله تعالى: {فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [94]، وتقيد أن الجوار يجاوز بهم العذاب المكتوب، فلا ينجيهم ولا يؤمنهم منه أحد [13].

رابعاً: اللام المفردة

يدور المعنى الأصلي للام حول الاختصاص والاستحقاق، وهي الأداة الداخلة بين معنى وذات، وذكر سيبويه أن معناها الأصل يؤول إلى الملك والاستحقاق [78]. وقد فصل المتأخرون معانيها مرجعين أكثرها إلى هذين الأصلين، ومن تطبيقاتها في السورة: لام الاستحقاق: كقوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [76]، أي استحققت الشياطين الرجم بتلك الشهب المقطعة من الكواكب [85].

لام الاختصاص الشامل: كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَيُسَّ الْمَصِيرُ} [95]، فالعذاب والوعيد ليس مختصاً بالشياطين فحسب، بل هو ثابت ومستحق لكل كافر بالله من الجن والإنس على حد سواء [77].

خامساً: الحرف (إلى)

الأصل في الحرف (إلى) أن يكون لـ انتهاء الغاية؛ زمانية كانت أم مكانية، أو معنوية في الأشخاص والأحداث. يقول سيبويه: «وأما (إلى) فمنتهى لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا» [77]. ومن شواهداها في السورة الكريمة:

قوله تعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [91]، أي إِنَّ نهاية مرجعكم ومآل بعثكم وحشركم مستقر وثابت إليه سبحانه لا إلى غيره [85].

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [96]، مؤدياً دلالة انتهاء الغاية الكلية لجميع الخلائق في يوم العرض.

سادساً: الحرف (في)

تتعين (في) لإفادة الظرفية، وتتنوع في النص القرآني على نمطين:

1. الظرفية الحقيقية (المكانية والوعائية):

يقول سيبويه عنها: «وأما (في) فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه» [85]. ومن شواهدا المكانية الحقيقية بالسورة:

قوله تعالى: {إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمْعُوا لَهَا شَهيقًا} [97]، أي في جوف جهنم.

قوله تعالى: {فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} [91]، أي في أرجائها وطرقاتها.

قوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ} [98].

2. الظرفية المجازية:

وتبرز هذه الدلالة المعنوية منزلة المحسوس وعاءً واحتواءً، ومن ذلك:

قوله تعالى: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ} [89]، حيث جُعِلَ خلق الرحمن للسموات محلاً وظرفاً معنوياً لإمعان النظر وتقليبه.

قوله تعالى: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ} [99]، فجُعِلَ الضلال والعمى الذي كانوا عليه في الدنيا بمثابة المحيط والوعاء الحاوي لهم، أو هو مأل عاقبتهم التي تحيط بهم وتطوقهم [78]. وتكرر هذا المعنى المجازي في آيات أخرى كقوله سبحانه: {بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [100].

وقوله تعالى: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، وتأتي (في) هنا ظرفية مجازية بمعنى المقارنة والمصاحبة (أي: ما كنا مع أصحاب السعير)، ولعل التوجيه الأولي بقواعد الفن النحوي إبقاؤها على أصل وضعها الظرفي، ويكون المعنى: «ما كنا في عداد مستوجب الخلود في جهنم» [77].

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة المتدبرة في دلالات حروف الجر في سورة الملك، ومعرفة مواقع الكلام وإلباس كل غرض من أغراض المعاني ما يناسبه من الأدوات، يخلص البحث إلى رصد أبرز النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

1. إن لمعاني أدوات الجر أهمية بالغة في توجيه الخطاب؛ حيث إن دلالة الجملة القرآنية تظل رهينة بمتعلقات الحرف، وتتحول معاني الأفعال وتتنوع بحسب الأداة المصاحبة لها.
2. من الخطأ المنهجي القول بـ "تناوب الحروف" وتناوب نيابة بعضها مكان عن بعض على الإطلاق من غير قيد؛ بل إن التناوب إنما يُبنى على التضمن الدقيق والدراية التامة بخصائص الأسلوب وسياق النظم.
3. تفردت اللغة العربية عن سائر اللغات بسعة تصرف اللفظ الواحد وتعدد طاقته الإيحائية، وتشكيل دلالات غنية ترتبط بـ "الظرفية الملاحقة" و "الظرفية الاحتوائية" التي تميزت بها أدواتها.
4. تؤدي حروف الجر وظائف تركيبية وإعجازية عظيمة في التنزيل القرآني؛ فهي تنتقل من الحقيقة إلى المجاز لتجسد المعاني الغيبية والمعنوية في قالب بصرية ومحسوسة راسخة في ذهن السامع.
5. يبرز الحرف كأداة لا غنى عنها لتعددية الأفعال القاصرة؛ فتنتقل الفعل من اللزوم إلى التعدي ليفضي بالمعنى الحداثي إلى مفعولاته متى عجز الفعل عن بلوغها بنفسه.
6. تحتل اللام المفردة مكانة محورية في الدرس النحوي لتعدد أنماطها الوظيفية (كلام التقوية، ولام الصيرورة والمأل، واللام المقحمة)، وهو ما يمنح الأسلوب العربي مرونة تعبيرية فائقة.

المصادر

- [1] علم الدلالة: أحمد مختار عمر، ط 1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1402 هـ - 1982 م.
- [2] الأضداد في اللغة: محمد حسين آل ياسين، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1973 م.
- [3] إبراهيم السامرائي وجهوده في اللغة والتحقيق: علي حسين عبد الحسن السراي، رسالة ماجستير، جامعة القادسية - كلية الآداب، بإشراف الدكتور عبد الإله علي جويعد، 2003 م.
- [4] دراسات في علم اللغة (القسم الأول): كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، 1969 م.
- [5] دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976 م.

- [6] لحن العامة في التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ط 1، مطابع البلاغة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1967 م.
- [7] علم اللغة العام: توفيق محمد شاهين، ط 1، دار التضامن، القاهرة، 1976 م.
- [8] اللغة والمجتمع: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1971 م.
- [9] لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: د. عبد العزيز مطر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1386 هـ - 1966 م.
- [10] الترادف في اللغة: حاكم مالك لعبيبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980 م.
- [11] التطور اللغوي التاريخي: د. إبراهيم السامرائي، دار الرائد للطباعة، القاهرة، 1966 م.
- [12] فقه اللغة وخصائص العربية: محمد مبارك، ط 2، دار الفكر الحديث، لبنان، 1964 م.
- [13] مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ)، تحقيق: مازن المبارك وأحمد عبد الله، دار الفكر، ط 2، 1969 م.
- [14] جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، تنقيح: د. عبد المنعم خفاجة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (د.ت).
- [15] شرح قطر الندى وبل الصدى: أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت 761 هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط 2، دار الفكر، 1969 م.
- [16] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1384 هـ - 1964 م.
- [17] الأنموذج مع شرحه: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت 538 هـ)، شرح عبد الغني الرديلي، منشورات دار الكتب سيديان.
- [18] رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد عبد النور المالقي (ت 702 هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ت).
- [19] القرآن الكريم، سورة الرعد، آية (43).
- [20] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية (123).
- [21] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية (100).
- [22] القرآن الكريم، سورة العنكبوت، آية (4).
- [23] القرآن الكريم، سورة المؤمنون، آية (22).
- [24] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية (177).
- [25] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية (185).
- [26] القرآن الكريم، سورة القصص، آية (15).
- [27] ديوان امرؤ القيس، لإمرؤ القيس بن حجر الكندي، دار النشر: دار المعرفة، ط: الثانية.
- [28] القرآن الكريم، سورة القصص، آية (8).
- [29] المقتضب، لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد، الناشر: عالم الكتب-بيروت.
- [30] القرآن الكريم، سورة الانفال، آية (23).
- [31] القرآن الكريم، سورة الروم، آية (4-3).
- [32] القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية (38).
- [33] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية (32).
- [34] القرآن الكريم، سورة طه، آية (71).
- [35] القرآن الكريم، سورة التوبة، آية (38).
- [36] القرآن الكريم، سورة الاسراء، آية (1).
- [37] صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت 256 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط 1، دار ابن الهيثم، 1425 هـ - 2004 م.
- [38] القرآن الكريم، سورة فاطر، آية (2).
- [39] القرآن الكريم، سورة نوح، آية (25).
- [40] القرآن الكريم، سورة الحج، آية (30).
- [41] القرآن الكريم، سورة الصافات، آية (108).
- [42] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت 761 هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط 9، 1377 هـ - 1964 م.
- [43] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية (187).
- [44] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية (33).
- [45] القرآن الكريم، سورة ابراهيم، آية (9).
- [46] خزانة الأدب ولب لباي لسان العرب: عبد القادر البغدادي (ت 1089 هـ)، بولاق، 1299 هـ.
- [47] القرآن الكريم، سورة الزمر، آية (22).

- [48] القرآن الكريم، سورة الشورى، آية (45).
- [49] القرآن الكريم، سورة فاطر، آية (40).
- [50] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية (77).
- [51] القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية (109).
- [52] القرآن الكريم، سورة الزلزلة، آية (4).
- [53] القرآن الكريم، سورة الانبياء، آية (47).
- [54] القرآن الكريم، سورة الاحقاف، آية (11).
- [55] القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية (78).
- [56] القرآن الكريم، سورة المطففين، آية (2).
- [57] القرآن الكريم، سورة النمل، آية (33).
- [58] القرآن الكريم، سورة النساء، آية (87).
- [59] ديوان الهذليين، المؤلف: الشعراء الهذليون، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- [60] القرآن الكريم، سورة هود، آية (48).
- [61] القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية (59).
- [62] القرآن الكريم، سورة الإنسان، آية (6).
- [63] القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية (75).
- [64] القرآن الكريم، سورة المؤمنون، آية (40).
- [65] القرآن الكريم، سورة النجم، آية (3).
- [66] القرآن الكريم، سورة الشورى، آية (25).
- [67] صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د. ت).
- [68] القرآن الكريم، سورة محمد، آية (38).
- [69] القرآن الكريم، سورة النحل، آية (72).
- [70] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية (43).
- [71] القرآن الكريم، سورة نوح، آية (1).
- [72] القرآن الكريم، سورة الفيل، آية (3).
- [73] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية (17).
- [74] القرآن الكريم، سورة الجمعة، آية (2).
- [75] معاني النحو، للدكتور محمد فاضل السامرائي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-الأردن. ط: الأولى.
- [76] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (5).
- [77] صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، ط 1، 1401 هـ - 1981 م.
- [78] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت 691 هـ)، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط 1، 1418 هـ - 1998 م.
- [79] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (1).
- [80] الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي (ت 671 هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط 2، دار الشعب، القاهرة، 1372 هـ.
- [81] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (11).
- [82] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (30).
- [83] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (12).
- [84] إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، (د. ت).
- [85] الكتاب: سيبويه (ت 180 هـ)، مصور عن طبعة بولاق، نشر مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت).
- [86] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (22).
- [87] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (29).
- [88] الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري (ت 538 هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده في مصر، 1376 هـ - 1948 م.
- [89] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (3).
- [90] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (8).

- [91] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (15).
- [92] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (18).
- [93] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (20).
- [94] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (28).
- [95] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (6).
- [96] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (24).
- [97] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (7).
- [98] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (16).
- [99] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (9).
- [100] القرآن الكريم، سورة الملك، آية (21).